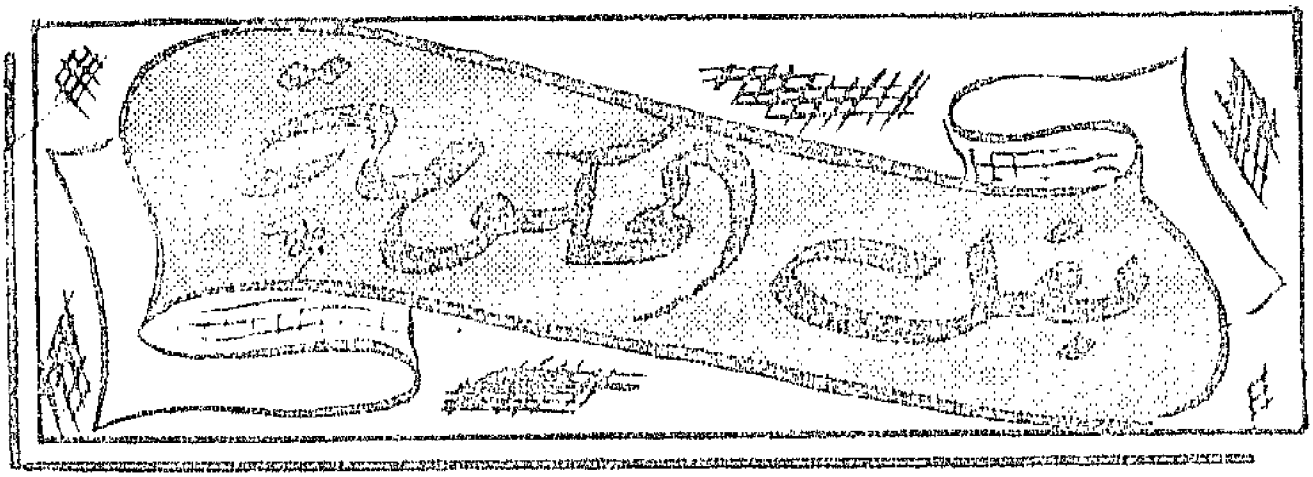

نظر مفتش الجرد من فوق حافة نظارته الى أمين « عهدة » التفتيش الزراعى نظرة طويلة ، تنطوى على معنى من معانى الشك المبهم ، ثم قال فى صوت لين :

ـ لماذا تتعجل الامور ياصابر افندى .. ان الدنيا خلقت فى ستة أيام .

قال أمين العهدة منفعلا :

ـ لقد بدأنا الجرد منذ سبعة أيام ... ولم نخلق ذبابة حتى الان ! ..

ارتفعت حواجب المفتش فطغت على جبينه الضيق طغيانا جعله أقرب الى جبين القرد منه الى جبين الانسان ، وأخذت أشعة الشك المبهم تتجمع فى نظرته الحادة رويدا ، رويدا ، حتى تركزت بؤرتها على وجه الامين ، ثم استرسل فى صوته اللين الحليم :

ـ صبرا فقد نخلق فيلة ! .. أيهمك كثيرا ياصابر افندى ان يستغرق الجرد عشرة أيام أو عشرين ..

ـ لتكن ثلاثين ، ولكن أرجو ضمانا لسير العمل فى التفتيش أن نكمل جرد المخازن ، ونؤجل جرد المواشى حتى تؤدى عملها وتعود الى حظائرها فى المساء .

كان هذا الاقتراح فى نظر صابر افندى حلا عمليا للاشكال ، يوفق بين وسوسة حضرة المفتش ومصلحة التفتيش . ولكن المفتش

لم يجده كذلك ، وانما وجد فيه آثار اقدام مريبة يلوح انه كان يبحث عنها منذ حين فى تيه مضل من كثبان الرمال . فابتسم ابتسامة الرضا ، وبدا الشك الذى كان حائرا فى نظراته يستقر ويتبلور ، واخذ ينقر باصابعه على المائدة نقرات بطيئة متواترة ، كانما يوقع فيها لحنا جنائزيا ينشده على روح مجرم يوشك أن يطبق على عنقه بحبل المشنقة .

وضاق صابر افندى بهذا السكون المريب فقال ثائرا :

— أما كان الاجدر بهذا الوقت الضائع ان يقضى فى جرد مخزن القمح أو مخزن الفول .

فاجاب المفتش بنوذة الواثق المطمئن الى انه امسك بتلابيب اللص :

— يا صابر افندى ليكن لك من اسمك نصيب . . . ان الموظف النزيه يابنى لايغضب ولا يثور . انى اشكرك بالنيابة عن الحكومة لغيرتك على اعمال التفتيش ، ولكن البهائم ياصابر أفندى ستجرد الان . أما المخازن التى تريد التعجيل بجردها فتستطيع الانتظار . . . ان شعرى ياصابر افندى لم يشب عبثا . . . قل لى بأى مواشى التفتيش تحب ان نبدأ .

— بأيها تريد . . .

— بالثيران مثلا .

— ليكن .

— أو لعلك تريد الجاموس .

— لافرق عندى بين هذه وتلك لنبدأ بالثيران أو بالجواميس . أو بالغنم . أو بالحمير فكلها عندى سواء .

عاد المفتش الى سكونه والى ابتسامته الراضية ، والى النقر على المائدة بأنامله ، ثم قال بعد برهة ولمعينه بريق ، وفى نبرة صوته سرور مكتوم :

— دع الثيران والجواميس والغنم والحمير تذهب الى حيث تشاء ياصابر افندى ، ولنبدأ بجرد البغال . . . البغال التى لم تخطر لك على بال . . البغال ياصابر افندى . . . انى أشم

رائحة الفار الميت على بعد أميال! .. هيا بنا الى حظيرة البغال ..

وتابط المفتش سجل العهدة بيد ، ومشى بجوار صابر افندى يمسكه بالاخرى ، ويطبق على عضده بكلابة من حديد ... لقد وقعت يده على مجرم ، وهيهات أن يفلت من يده ولو تعلق بأسباب السماء ! .

كان حضرة المفتش كاللص الذى تاب لانه لم يعد يجد شيئا يسرقه وهو آمن .

كان يؤمن بأن الناس كلهم لصوص ، حتى يثبت له العكس بالبرهان ، وقلما كان يجد هذا البرهان ، فاذا تصدى له فقلما كان يراه ...

وكانت أقل مشكلة من مشاكل الحياة تفرقه ، ولكن مشاكل الجرد كانت تؤجج فى روحه شعاع عبقرية مفرضة لاترى من الاشياء الا ماتحب ان تراه ..

وتعسا للموظف الذى كان يقع فى مسرح هذا الشعاع ..

لقد كان سعيدا سعادة الطفل وجد لعبة ، وهو يمشى بجوار صابر افندى وئيد الخطوات ، ينتشى بشبح الكأس التى كان واثقا انه سيحتسيها فى حظيرة البغال ... ويفعل كما يفعل الطفل باللعبه ، ويحاول تحطيمها من كل سبيل .

ـ هل رأيت الورقة ذات المائة جنيه ياصابر افندى .

ـ بالتأكيد

ـ وهل أمسكتها بيدك .

ـ أحيانا .

ـ أتعلم انى وأنا موظف فى الدرجة السادسة على جلالة قدرها ، ولى فى خدمة الحكومة أكثر من عشرين عاما لم أر هذه الورقه حتى الان ... قل لى كم يساوى البغل فى السوق فى هذه الايام ... البغل الطيب الاصيل .

ـ أربعين جنيها على الاقل .

ـ وعلى الاكثر .

ـ ستين .

ـ لقد كان عند صاحب العزة مديرنا الحالى بغلة باعها بمائة جنيه ياصابر افندى ! .

ـ لعلها بغلة العشر ! .

ـ اتعرف أنك تكون ظريفا عندما تهدأ هدوء الموظف النزيه . لقد كان سعادة المدير يسمى بغلته « البراق » ... هل تحفظ القرآن ياصابر افندى .

ـ لا

ـ يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز . « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها . »

ـ « صدق الله العظيم » .

ـ أتعرف من الذى حملها ياصابر افندى .

ـ حمل ماذا .

ـ الامانة ياصابر افندى .

ـ لا أدرى .

ـ يقول الله ... « وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » .

ـ وما شأنى أنا بهذا .

ـ أليست عهدة الحكومة امانة يا صابر افندى تشفق من حملها السموات والارض و الجبال .

ـ ان كان دفتر العهدة أتعبك فدعنى أحمله عنك ! .

ـ ان دفتر العهدة أخف من الريشه ياصابر افندى ولكنه أحد من السيف .. أهذه حظيرة البقال .

ـ نعم

ـ أواثق اننا وحدنا ..

ـ كما ترى .

دار المفتش بعينيه فى الحظيرة فاطمأن الى خلوها من كل شريك يستطيع صابر افندى أن يتصل به بالقول أو بالاشارة ، لاخفاء معالم الجريمة التى لم يعد يشك فى انه منها قاب قوسين أو أدنى .

ـ كم بغـلا لديك يا صـابر افندى

ـ تسعة .

ـ تماما ... تعـال نعـدها الان .

وراح حضرة المفتش يعد البغال طردا فيجدها تسعة ، ويعـدها عكسـا فيجدها تسعة ، ويعـدها من فـوق ومن تحت ومن يمين ومن شمال فيجدها تسعة لا تنقص ولا تزيد .

وعاد ينظر الى دفتر العهـده والى وجـه صابر افندى ، والى مواصـفات البغال المسـجلة فى الدفتر ، ويعـد البغال ويفحصها من جديد ..

كانت شكوكه خليقة ان تصاب بصفعة فتهدأ وتطمئن ! ولـكنه لم ييأس ولم ينهزم ، وراح يقارن بين البغال الحية والبغال الموصوفة فى الاوراق ..

ـ قل لى ياصابر افندى .. أين هذا البغل الذى عمره شهر .؟

ـ هذا هو .

ـ صابر افندى .. ان شعرى لم يشب عبثا .. أتظنك تخدعنى عندما تقول لى ان هذا البغـل عمره شهر ، انه لاينقص عـن عام ... لقد كان جدى ياصابر افندى تاجر بغال ! .

ـ لقد كان عمره شهرا عندما تم الجرد السنوى فى العام الماضى ، وطبيعى انه شب الان ..

ـ صابر افندى ... أناوانت نستطيع ان نكذب ، ولكن دفاتر الحكومة لاتكذب ، انها كوحى الله المنزل ، وعندما تقول لى ان البغل سنه شهر فيجب ان تكون سنه شهرا لاتقل ولا تزيد ! .

ـ أليس مفنما للحكومـة ان تقايض على بغـل عمره شـهر بآخر عمره عام .

ـ هل تعرف اسم الذئب الذى أكل يوسف ياصابر افندى .؟

ـ كيف أعـرف اسـم ذئب لاوجود له ! .

ـ أنت ذكى ياصابر افندى وا ويل الحكومة من موظفيها الاذكياء ... لو قلت لى أنك لاتعرف اسم هذا الذئب لقلت عنك غبى ولخامرنى الشك فى أنك مذنب ... أن حمارة الحكومة العرجاء ياصابر افندى

أغلى فى نظرها من جواد الناس الاصيل .. أين البغل الذى سنه شهر ياحضرة الموظف النزيه ؟

طفحت الكاس بصابر افندى، ولكنه لم يغضب ولم يثر ، وانما أخذ يحدق فى المفتش ، ويطيل النظر الى وجهه المشرق اشراق السعادة ، ثم ينتقل بعينيه الى ثوب المفتش الذى امتزجت به افاعيل البلى والعرق ، بافاعيل العث والتراب ...

— أين البغل ياصابر افندى ؟ لماذا لاتجيب وقد كان لسانك منذ هنيهة أحد من عذبة السوط ؟ !

قال صابر افندى وصوته يتهالك ضراعه واستخذاء :

— اذا دللتك عليه فهل تعدنى الا يصيبنى مكروه ؟ ..

— اعدك يابنى اعدك . . . مادام مال الحكومة قد سلم ، فأى حظ لى فيما عداه ...

وجاء دور صابر افندى فتأبط ذراع المفتش ، وسار به يقوده، وهو يحلم بالدرجة الخامسة التى لابد ان تكون نصيبه من اسلاب هذه المعركة التى لم تكلفه أكثر من لمحة ذكاء ...

كان المفتش يحلم صامتا فى هذه المرة فبادأه صابر افندى بالحديث :

— قاتل الله النفس الامارة بالسوء ...

— لا عليك يابنى ... ان الله غفور رحيم .

— ترى هل تبلغ النيابه ؟

— النيابة .. تقطع يدى يابنى قبل أن افعل .

وتوهجت عينا المفتش، وبدت فيهما نظرة الوحش الذى اطمأن على الفريسة .

وعدا الى الصمت حتى آتيا مقر صابر افندى فى التفتيش ، فاقتحم صابر افندى الباب ، وفى اثره المفتش ، وما زال به من حجرة الى حجرة حتى جاء غرفة نومه ، فأوقفه أمام المرآة . . وقال :

— هذا هو البغل الذى تبحث عنه ياحضرة المفتش .. ها هو ذا ممثل أمامك فى المرآة ! ! .